

# الملاحظات

نزل "لوح الفتنة" في بغداد باللغة العربية في حق الأميرة شمس جهان، حفيدة فتح علي شاه وكانت تعرف بلقب "فتنة"، والتي بدأ اهتمامها بالدين الجديد لدى اتصالها بالطاهرة التي أصبحت صديقتها الحميمة.

ذهبت شمس جهان إلى بغداد وتشرفت بمحضر حضرة بهاء الله وأدركت مقامه وأصبحت مؤمنة مخلصه، ونزلت من القلم الأعلى فيما بعد ألواح عديدة في حقها ولقبها حضرته بـ"ورقة الرضوان".

يدور "لوح الفتنة"، بمدلول اسمه، حول الامتحانات والتجارب المصاحبة ليوم الله، ويشير حضرة بهاء الله فيه إلى ظهوره الذي تمتحن فيه كل الكائنات بلا استثناء، ويمتحن كل من كان نبراس الحكمة والتقوى، أو موئل العلم والفضيلة وحتى حقائق الأنبياء والمرسلين تخضع لمثل هذه التجارب والامتحانات.

ويحذّر أعباءه، في العديد من ألواحه، من الامتحانات والبلايا التي ستتحقق بهم بعد إيمانهم، وإن قلب الإنسان يمتحن في كلّ عصر عندما يشرق مظهر أمر الله بنوره في

العالم . فهذه سنّة الله من قبل ومن بعد فالיום هو يوم الله وفيه نفخ في الإمكان قوى روحانية هائلة، فلا غرو، إذا كانت الامتحانات عظيمة في هذا الظهور الأعظم .

إن أمر الله في سموه وعلياه فوق عالم الإنسان، فإذا أراد المرء أن يدخل فيه وجب عليه أن يكتسب صفات إلهية، وهنا تغدو النفس وأطماع الدنيا حواجز كؤود . فالإنسان أمام امتحان ليظهر نفسه ويتغلب عليها، وبدونه لن يدرك رسول الحق، لأن للمظهر الإلهي طبيعتان: إلهية وبشرية، فالأولى دوما مخفية بالثانية، وأولئك الذين وهبوا بصيرة روحانية هم وحدهم سيخترقون حجابات الشؤون الإنسانية ويشاهدون حقيقة الظهور الإلهي . أما من عميت بصائرهم فسيمتحنون بالخصال البشرية للرسول، فلا يدركون منها سوى خصائصها الإنسانية وغالبا ما يبحثون عن خطأ ربما يجدوه في هذه النفوس المقدسة .

بعد عرفان مظهر أمره يمتحن الله المؤمن بطرق عدة، وبعد اجتياز كل امتحان تقوى بصيرته ويشد أيمانا، وكلما اقترب من شخص محبوبه كلما اشتدت عليه الامتحانات، وعندها تغدو الحياة الروحية للمؤمن في خطر إذا كان في نفسه أي أثر من الأنانية أو الأطماع الدنيوية .

هناك حديث شريف يشرح المصاعب والأخطار التي تصاحب السالك في رحلته إلى الله ويقول بأن: الناس هلكى إلا المؤمنون، والمؤمنون هلكى إلا الممتحنون، والممتحنون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون في خطر عظيم .

وفي تاريخ الأمر شواهد كثيرة على ذلك، فكم من عشاق حملهم إيمانهم إلى درجات من العلى والقرب من شخص حضرة بهاء الله ونالوا شهرة بين المؤمنين من أتباعه، وعندما هبت أرياح الافتتان خمدت نار الإيمان في قلوبهم بطمعهم وغرورهم، فحرموا من فضل الله وباتوا من الميتين. ومنهم بعض أفراد عائلته. فهذا أخوه غير الشقيق ميرزا يحيى الذي أعلن عصيانه، وبعد صعود حضرة بهاء الله نقض أمره ثلاثة من أبنائه واثنتان من بناته وعدد من الأقارب ومبلىغي الأمر البارزين من الذين خدموه بتفان وإخلاص فاعترضوا على مركز ميثاقه الذي عينه ممثلاً في شخص حضرة عبدالبهاء وقاموا يدا واحدة على إطفاء نور دينه.

يحتار بعض الناس بالنسبة لما حدث من خيانة وعداء داخل الجامعة البهائية خاصة من أقرب الأقرباء لحضرة بهاء الله، وما كان ذلك إلا لافتقارهم للإيقان والمواهب الروحانية التي تعد أساساً لعرفان مظهر أمر الله والإذعان لأوامره وأحكامه.

ولعلّه من باب المقارنة أن نقول أن مثل هؤلاء الأشخاص مثل الذين يجهلون العلوم الرياضية جهلاً تاماً، ويذهبون للاستماع إلى عالم رياضي فذ يشرح نظرياته العلمية مستخدماً الاصطلاحات الرياضية المعقدة، فمن الواضح إذا بأنهم سوف يعجزون عن فهمه وتقدير عبقريته وعمله الخارق، وسوف لا يرون فيه سوى إنسان عادي يتكلم بما لا يمكن استيعابه، وهكذا يبدأون في تقييم هذا العالم الفذ حسب معاييرهم الشخصية دون أن يتأثروا بما يتمتع به من قوى عقلية جبارة، وكلما ازدادوا منه قرباً ازدادوا معرفة بطبيعته الآدمية التي تحجب عنهم عظمتهم. أما أولئك الذين لهم علم

بالمسائل الرياضية، فإنهم وحدهم هم الذين يدركون العبقرية الحقّة لهذا العالم الرياضي، وفي نظرهم فإن معرفته العلمية تتخطى كل صفاته الإنسانية ولن يتركز اهتمامهم بعد ذلك على المظاهر الخارجية.

إن معظم الذين قاوموا حضرة بهاء الله أو نقضوا عهده بعد إيمانهم كانوا أفراداً طموحين يفتقرون للسجايا الروحانية، وكان مرادهم الحقيقي ازدياد هيبتهم واكتساب مقام رفيع بين المؤمنين.

مثال ذلك ميرزا محمد علي، ابن حضرة بهاء الله، الذي ابتلي بالغرور وحب الرياسة والسلطة، وكثير من الأتباع ذوي البصيرة الروحانية اكتشفوا لديه حالة التعالي هذه وتعظيم الذات وأحسوا بنفاقه قبل نقضه.

وفي وصفه لأول لقاء مع ميرزا محمد علي، كتب الحاج محمد طاهر المالميري في مذكراته حول زيارته لعكاء عام ١٨٧٨م، حيث يقول:

"عندما وصلنا حيفا... اصطحبونا إلى منزل آقا محمد إبراهيم الكاشاني، الذي أمره حضرة بهاء الله أن يجعل إقامته في حيفا لاستضافة الزائرين ومساعدتهم في توزيع الرسائل. وعندما علم حضرة بهاء الله بقدومنا أمرني بواسطة آقا جان... أن أقيم مع أخي الحاج عليّ فركبنا عربة حضرة عبدالبهاء من حيفا إلى عكاء ووصلنا إلى منزل الحاج عليّ في خان السوق الأبيض القريب من مسكن ميرزا موسى، أخي حضرة بهاء الله، وبهائيين آخرين أحدهما النبيل الأعظم... كنت في ذلك اليوم في قمة

السعادة وروحي في غمرة الفرح والنشوة. إلا أنه في اليوم التالي حضر إلى منزل النبيل الأعظم ميرزا محمد عليّ ومعه أخواه ميرزا ضياء الله وميرزا بديع الله بقصد مقابلي. فذهبت مع أخي لمقابلتهم بكل لهفة، ولم يمض علينا غير وقت قصير حتى شعرت باكتئاب وكأن ما في قلبي من مشاعر الفرح قد انقلبت إلى تعاسة وحزن وشعرت بالكآبة في داخلي... وبكل ما في خيبة الأمل من مرارة رأيتني أعجب لما حدث فجأة بالرغم من شدة اشتياقي ولهفتي حين دخولي عكاء، فقد غلبني الآن شعور بالغم والإحباط، وأيقنت بعدها وكأنني مرفوض عند الله...

وجدت نفسي وسط هذه الدوامة من الضغوط النفسية حتى وددت لو أخرج من ذلك الاجتماع على الفور، إلا أنني لم أتجاسر على ذلك. كنت على اتصال مع الله بالقلب... كنت قلقاً جداً وأنا أنتظر بفارغ الصبر مغادرة الزائرين حتى أستطيع الخروج وأخلص نفسي مما أنا فيه، ولاحظت أنه بينما يقضي أخي والنبيل الأعظم أمتع اللحظات في حديثهما مع ابنيّ حضرة بهاء الله، كنت في حالة اضطراب وصراع شديد مع نفسي... وبعد مرور ساعة تقريباً رأيت أخي يودّع الزائرين بالشكر بسعادة غامرة.

وفي المساء أبلغني أخي أننا سوف نذهب لنحظى بمحضر حضرة عبدالبهاء في غرفة الاستقبال الخاصة به. ورغمما عمّا أنا فيه من حزن وإحباط، ذهبت معه. وبمجرد مثولي في محضر الغصن الأعظم رأيتني وقد أنسلت بداخلي روح جديدة غمرت كياني بسعادة لا توصف حتى أن كل ما كان بي قد زال في لحظة.

ومرت بضعة أيام حين دعاني أخي لمرافقته لمقابلة ميرزا محمد عليّ ثانية، فرفضت رغم إلحاحه الشديد... وخلال إقامتي في عكاء زار ميرزا محمد عليّ منزل النبيل الأعظم عدّة مرّات، أما أنا فكنت دائماً انتحل الأعذار لكي لا أذهب إلى هناك."

بعد صعود حضرة بهاءالله وقف ابنه ميرزا محمد عليّ في وجه أخيه حضرة عبدالبهاء، مركز العهد والميثاق المعين، وأحدث داخل الجامعة البهائية أزمة لم تكن أقل خطراً وشراسة مما تصدعت به أركان الدين بعصيان ميرزا يحيى. حتّى في أيام والده تصرّف بما سبب لوالده ألماً شديداً وحزناً عميقاً في مناسبات عدّة. فمرّة أرسله حضرة بهاءالله إلى الهند لينشر مجموعة معينة من الألواح، وكما أورده حضرة شوقي أفندي في "كتاب القرن البديع" فقد "تلاعب بالنصوص المقدّسة التي عهد بها إليه..." وهو الذي نجح أيضاً في "تزييف ماهر بسيط لكلمة تكررت في بعض الفقرات الناقمة التي وجهها القلم الأعلى إلى ميرزا يحيى، واتبع وسائل أخرى كالحذف والحشو والتشويه وبذلك نجح في أن يجعلها تنطبق على "حضرة عبدالبهاء. حتى أنه ذهب إلى أبعد من ذلك فكتب، "في صراحة ووقاحة"، كتاباً كتبه بيده... "وذيله بتوقيعه وختمه بخاتمه..." وهو الادعاء ذاته الذي نسبه لعبدالبهاء بعد صعود والده، يعني "حق افتتاح دورة جديدة، وحق مشاركة حضرة بهاءالله في العصمة الكبرى، ألا وهي الامتياز المطلق الذي يتمتع به المظاهر المقدسة الإلهية". وقد أثار تصرفه الشائن هذا سخط حضرة بهاءالله، وفي أحد الألواح يحذر من أن ميرزا محمد عليّ إذا ما انحرف

آناً عن الأمر أصبح كالغصن الميت، وفي اللوح نفسه يؤكد أنه لا يمكن لأحد أن يشارك المظهر الإلهي مقامه ويدّعي عصمته.

إحدى ميزات دين الله العزيز أنه لا يحمي النفوس المبتلية بالغرور والأنانية، فشعار هذا الدين العبودية المحضة التي تنعكس صورتها الجلية في التواضع ونكران الذات.

فقد بين حضرة بهاء الله في تعاليمه إن في الوجود مراتب ثلاث: الأولى مرتبة الألوهية، التي تفوق إدراكنا. ثم مرتبة مظهر الله التي تسمو فوق عالم الخلق. وأخيراً مرتبة الإنسان، وهي مرتبة العبودية الخالصة. فالخشوع والتواضع خير حافظ للسالك سبيل خدمة أمر الله. إنه الهدية الأكثر قبولاً لدى الحق من عبده الأواب. إذ أن التواضع ليس من صفات الله ذي الملك والجبروت.

لقد أسس حضرة عبدالبهاء - المثل الأعلى لتعاليم حضرة بهاء الله - نهج العبودية ليسلكه كافة الخلق، واختار لنفسه أدنى مراتب العبودية وهي أعلى مقام يصله الإنسان.

ففي مقام حضرة بهاء الله تتجلى السلطنة والربوبية وفي مقام ابنه حضرة عبدالبهاء نشاهد العبودية. فالماء الذي ينحدر من قمة الجبل إلى قعر الوادي يولد الطاقة، وبالمثل ولد تدفق القوى الروحية من حضرة بهاء الله إلى حضرة عبدالبهاء قوى هائلة انسابت في أركان البشرية. وعندما تشرف الوجود بالظهور الإلهي لم يكن هناك من يستحق فيضه أو يتحملة. فكان حضرة عبدالبهاء أكمل مستقبله بالنيابة عن البشرية.

ورغم أن حضرة عبدالبهاء ليس مظهرًا إلهيًا إلا أن حضرة بهاء الله أسبغ عليه قوة ومنحه نفوذًا إلهيًا.

وفي "كتاب عهدي" الذي خطه بيده، عين حضرة عبدالبهاء مرجعًا لأهل البهاء بعد صعوده، وفي هذه الوثيقة الهامة يقرر ما يلي:

"إن وصية الله هي: أن يتوجه الأغصان والأفنان والمنتسبون إلى الغصن الأعظم. انظروا إلى ما أنزلناه في كتابي الأقدس: إذا غيض بحر الوصال، وقضي كتاب المبدأ في المآل، توجهوا إلى من أراده الله الذي انشعب من هذا الأصل القديم. وقد كان المقصود من هذه الآية المباركة الغصن الأعظم. كذلك أظهرنا الأمر فضلًا من عندنا وأنا الفضال الكريم."

وفي ألواح أخرى مجّد حضرة بهاء الله مقام الغصن الأعظم (حضرة عبدالبهاء) وأثنى عليه ثناء عطرًا. ففي "سورة الغصن" ينطق بالكلمات التالية:

"وقد انشعب من سدرة المنتهى هذا الهيكل المقدّس الأبهي غصن القدس فهنيئًا لمن استظلّ في ظلّه وكان من الراقدين. قل قد نبت غصن الأمر من هذا الأصل الذي استحكمه الله في أرض المشية وارتفع فرعه إلى مقام أحاط كل الوجود فتعالى هذا الصنع المتعالي المبارك العزيز المنيع... قل قد فصل من لوح الأعظم كلمة على الفضل وزينها الله بطراز نفسه وجعلها سلطانا على من على الأرض وآية عظمته واقتداره بين العالمين... قل يا قوم فاشكروا الله لظهوره وإنه لهو الفضل الأعظم عليكم ونعمته



الأتم لكم وبه يحيى كل عظم رميم. من توجه إليه فقد توجه إلى الله فمن أعرض عنه فقد أعرض عن جمالي وكفر ببرهاني وكان من المسرفين. إنه لوديعه الله بينكم وأمانته فيكم وظهوره عليكم وطلوعه بين عباده المقربين... وأنا قد بعثناه على هيكل الإنسان فتبارك الله مبدع ما يشاء بأمره المبرم الحكيم. إن الذينهم منعوا أنفسهم عن ظل الغصن أولئك تاهوا في العراء وأحرقتهم حرارة الهوى وكانوا من الهالكين."

وفي "لوح الفتنة" يبين حضرة بهاء الله بالإضافة إلى ما سبق أن الامتحانات والفتن المرافقة لظهوره لهي في غاية الشدة، حتى أن كثيراً من المؤمنين الذين أدركوا أسرار أمره سيحرمون ويتركون في الظلمات. وفي إشارة إلى أقطاب الدين، يتنبأ بسقوط أنجم سماء العرفان ويؤكد أنه من خلال هذه الامتحانات سيكشف ما في الصدور، ويفصل ما بين الناس، فمنهم من يتبوأ قمة الإخلاص والوفاء ومنهم من يجد نفسه مطروحاً على التراب. ويذكر أن أرياح هذه الفتنة العظمى قد بدأت تعصف وستصل إلى أوجها في سنة "شداد" في إشارة إلى عصيان ميرزا يحيى في أدرنة الذي هز أركان الدين من جذوره وأحدث شرخاً مؤقتاً بين أتباعه، وإشارة أيضاً إلى صعود المبارك الذي تبعه عصيان ميرزا محمد علي ونقضه عهد حضرة بهاء الله.

إن أية دراسة دقيقة تتناول سيرة مؤسسي الأديان الرئيسة وتعاليمهم السامية، تبين أن إحدى مهامهم كانت دوماً شرح مغزى الرسالة الإلهية وهدفها، وتبيين المعضلات الدينية التي تربك عقول المؤمنين من أتباعهم وتحيرهم. لذا كان حضرة بهاء الله وحضرة عبدالبهاء على استعداد للإجابة عن أسئلة الأحياء التي تراوحت بين مواضيع

هامة الشأن إلى تفاصيل صغيرة تناولت كل جانب من جوانب الدين. وبالفعل نجد أن كثيرا من آثار حضرة بهاء الله وحضرة عبدالبهاء كتبت إجابة عن هذه الأسئلة، وتناولت معضلات في الكتب السماوية السابقة وشرحا لغوامضها وتبيانا لأسرارها ورموزها، كما كشفت عن تعاليم الحق لهذا العصر ورسمت معالم النظام العالمي الجديد وأعطت تفصيلا لتطبيق أحكام حضرة بهاء الله وأوامره.

التزم مؤسسو الأديان السابقة جانب الصمت في مسألة الخلافة من بعدهم إلا عند لحظة الممات حين يكشفون عن هوية من سيخلفهم، ولهم في ذلك حكم جمّة. ومثل هذا العمل يمكن تشبيهه بمعلم كان على الدوام مستعدا للإجابة عن الأسئلة ومساعدة تلاميذه في حل ما يشكل عليهم، ولكنه يلتزم الصمت ويحجم عن مساعدتهم وقت الامتحان، فإن عليهم وحدهم واجب البحث عن الإجابات. إنه يوم الامتحان ويوم الفصل. فمن نجح يتقدم إلى المرحلة التالية، ومن فشل يحرم من ذلك.

يبرهن لنا تاريخ الأمر أن الميثاق الإلهي كان محك الامتحان بالنسبة للمؤمنين من الأحياء. فقد أعلن حضرة الباب بشارة مجيء "من يظهره الله" إلا أنه لم يكشف عن هويته صراحة. وأسس حضرة بهاء الله ميثاقا عظيما بتعيين حضرة عبدالبهاء مركزا لهذا الميثاق، ولكنه حفظه سرا إلى ما قبل صعوده بقليل حيث سلّم كتاب عهده بيده المباركة لحضرة عبدالبهاء. إن هذه الوثيقة، بلغة المثل السابق تعتبر ورقة الامتحان لأتباع حضرة بهاء الله بأسرهم. فبعضهم اجتاز ونجح والآخر فشل ورسب. وبالمثل فإن

وصية حضرة عبدالبهاء بتعيين حضرة شوقي أفندي ولياً لأمر الله من بعده قد حفظت سرّاً إلى ما بعد صعوده، ثم تليت وأثارت مرة أخرى زوابع الامتحان والافتتان أمام الأحباء، فمن كان يحمل في نفسه أطماعاً كبيرة ويحلم بالقيادة وقف في وجه حضرة شوقي أفندي أيام ولايته، فحاول كثيرون خلق الفرقة والصدع في لُحمة الدين، إلا أن ما يميّز الأمر الإلهي أنه رغم قيام عدد من أتباعه البارزين بنقض الميثاق، وسعيهم بكل ما أوتوا من قوّة وما ابتدعوه من وسيلة لتقويض دعائم الأمر الكريم إلا أن مآلهم كان الفشل، وثبت ميثاق حضرة بهاءالله منتصراً، واندثر معارضوه وانمحت آثارهم.

كتاب ظهور حضرة بهاء

أديب طاهرزاده

المجلد ١

الفصل التاسع